٢٢

جمالية الخطاب السياقي في القرآن الكريم

دراسة تأويلية في فلسفة النص

أ. م. د. احمد غالب نايف

جامعة المعارف – كلية التربية – قسم اللغة العربية

dr.ah1975@uoa.edu.iq

الملخص

كثرت الدراسات حول السياق النصي في القرآن الكريم، بعد ظهور نظريات عدة أهتمت باللفظة القرآنية وفق سياقها الدلالي، فالقارئ للنص القرآني يجد أن هناك العديد من الكلمات المتشابه وظفت في سياقات مختلفة، لذا من واجب الدارس للقران الكريم الاطلاع على هذا الاعجاز البياني. فهذه مفارقة لا تتعلق فقط في جمالية النص ولا في كون اللغة العربية تتمتع بذلك القدر من المرونة، التي تسوغ لها التعدد الدلالي بما يطلق عليه الترادف، وإنما مرهون بمناسبة معينة تراعي فيها خاصية الزمن والمكان وحالة المخاطِب، فضلًا عن جانبه النفسي. فالخطاب القرآني خطاب عميق متعدد الصيغ.

الكلمات المفتاحية : الخطاب، السياق، اللسانيات ، النص القراني

The aesthetics of contextual discourse in the Holy Quran

An interpretive study in the philosophy of the text

Assi. Pro. Dr. Ahmed Ghaleb Nayyef
dr.ah1975@uoa.edu.iq

Department of Arabic, College of Education,
University of Al Maarif, Al Anbar,31001, Iraq

Abstract

There have been many studies on the textual context in the Holy Quran, after the emergence of several theories that focused on the Quranic word according to its semantic context. The reader of the Quranic text finds that there are many similar words used in different contexts, so it is necessary to look into this rhetorical miracle in the Holy Quran. This is a paradox that is not only related to the aesthetics of the text nor to the fact that the Arabic language enjoys that degree of flexibility, which justifies semantic multiplicity with what is called synonymy, but rather is subject to a specific occasion in which the characteristics of time, place, and the state of the addressee

are taken into account, in addition to his psychological aspect. The Quranic discourse is a deep discourse with multiple forms.

المقدمة .

يعد الخطاب القرآني من الخطابات المميزة بساقها الخاص و التي ركزت في طبيعة الحوار ونوعيته والجوانب المؤثرة فيه ، لذا فورود الالفاظ المتشابه لفظًا والمختلفة معنى أو ما يطلق عليه بالترادف أو غيره من المسميات ، يعد آمرًا يعطي للنص جمالية ومهمة في فهم طبيعة ذلك الخطاب ، فالنص يتحدد وفق سياقه الذي وضع فيه ، وطبيعة النص القرآني وما يحتويه من قصص كثيرة وحوارات متباينة تتشكل وفق صياغات مختلفة تسوغ لأن تدرس اللفظة في سياقها الخاص ، فالخطاب النصي يحكمه سياقه الخاص وليس شيئًا آخرًا.

لذا فالتناسب بين الشكل والموضوع ، أي دلالة اللفظ مع المعنى جزء لا يتجزأ من الصياغة الخاصة للخطاب ،.وللوصول إلى الدلالة الخاصة للكلمة يجب دراسة الكلمة وفق موقعها الاجتماعي والثقافي . وما يخص النص القرآني فيجب دراسة أسباب النزول وموضع الحدث ، لذا تظهر أهمية السياق التأريخي والنفسي . وهذا يتطلب دراسة وتحليل دقيق حول علاقة اللفظة المفردة بسياقها .

وقد تشكلت العديد من النظريات الحديثة حول أهمية السياق ؛ لذا يعتقد البعض إنها نظرية حديثة. بينما الواقع يظهر غير ذلك ، لأن علماء العرب قد فطنوا لذلك وأهمهم الجرجاني في نظرية النظم .فما علاقة الجمال في تشكيل النص ؟ وما هو دور السياق في تشكيل الدلالات النصية داخل الخطابات.؟

المبحث الأول :

المحور الأول : السياق والخطاب النصي

يعرف السياق لغة بإنه "سواق ، قلبت الواو ياء لكسرة السين ، وهما مصدران من ساق ، وقد ذكر ابن منظور ،وقال ما تساوق ، أي ما تتابع ، والمساوقة :المتابعة كأن بعضها يسوق بعضًا ."١

ويعرفه الزمخشري في الكشاف "وفي المجاز هو يسوق الحديث أحسن سياق ، وإليك سياق الحديث ،وهذا الكلام مساقه إلى كذا وجئتك بالحديث على سوقه أي على سرده."٢ ومن خلال الدلالات اللفظية التي طرحها المؤلفون يتضح أن المقصود بالسياق التتابع والتنظيم في تحديد المعاني وسيرها بطريقة منظمة .

وقد ذكرت لفظة سياق في القرآن الكريم في مواضع عدة منها سورة الزمر٧٣ (وسيق الذين اتقوا ربهم)٣ ، وفي سورة السجدة ذكرت اللفظة أيضا في آية ٢٧ (أنا نسوق الماء إلى الأرض الجزر)٤ وفي كلتا الآيتين يتضح أن معنى السياق التسيير والتنظيم والتتابع في السير .

وفي الاصطلاح عرف السياق : بإنه التتابع اللفظي للفقرات المترابطة والمتناسقة فيما بينها وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة داخل النص ،الذي يساعد في تشكيل دلالي للنص ، وهو يساعد في فهم اللفظة المفردة فمن دون سياق لا يمكن معرفة معنى الكلمة . ٥ بذلك يعنى السياق في كشف الوحدة الدلالية للمفردة لذلك عول فيرث على أهمية السياق تسيق الوحدة اللغوية ، أي وضعها في سياقات مختلفة . ٦

وقد ذكرت المصادر القديمة عن دور السياق في تحديد دلالة المعنى رغم اختلاف اللفظ في مواضع كثيرة منها ." ويقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها. ومن قديم أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام وتطلبه مقالا مخصوصا يتلاءم معه، وقالوا عبارتهم الموجزة الدالة التي يصفها الدكتور تمام حسان بأنها قفزة من قفزات الفكر ، وقالوا لكل مقام مقال .إذ لا تكون للكلمات المختارة ميزة في ذاتها ، ولا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ، ولا لوضع الكلمات المختارة ميزة في ذاتها مالم يكن ذلك كله في سياق ملائم ."٧ أي أن للعرب ومنذ القدم قد فطنوا لهذه المسألة وأن لم يضعوها في قالب اسمي ، فالمعروف عنهم أنهم كانوا يتخيرون اللفظة بصورة دقيقة جدًا ويراعون تواجدها في سياقها الملائم .

وغير ذلك فقد ذكر "عبد القاهر الجرجاني أن هناك ثلاثة عناصر توجب للكلام مزية بعد يتحقق له النظم ، وهذا الامر يتكون عن طريق الأغراض التي يوضع لها الكلام ومن ضمنها السياق المناسب للكلام ، وعلاقة الكلمات وموقعها مع بعضها البعض ."٨ أي أن هناك إشارات عدة في نظرية النظم التي تراعي السياق ليس داخل النص فقط وإنما خارجه أيضًا ،فيجب مراعاة حال السامع في كل مرة يريد المتحدث القيام بعملية تخاطبيه .

وقد ذكر الباحثون واقترحوا تقسيما للسياق إلى :

١-السياق اللغوي .

٢-السياق العاطفي

٣-سياق الموقف

٤-السياق الثقافي ."٩

ومن خلال ما تم عرضه لمعنى السياق لغة واصطلاحًا يتضح أن اللفظة داخل سياق معين هي من تحدد جمالية الخطاب بحد ذاته ، لذلك فالخطاب يتشكل وفق سياق نصي ."فالنص في الأساس لا يتحدد معناه إلا من خلال استعماله وفي موقف ما ، أي المحيط الثقافي والاجتماعي ،و الحضاري فضلًا عن المحيط اللغوي للعلاقات ،إذ أن توسيع دائرة المكون البراغماتي في تحليل النص إلى التركيز في الظروف والاحوال والملابسات والمرجعيات التي تصاحب الحدث اللغوي تسهم في تشكيل الدلالة النصية ."١٠ وهذا ما يجعل للنص جمالية خاصة من جانب الشكل والمضمون ، فأحدى سمات النص الجمالية كما ذكره الفلاسفة هي التناسق .فما هو الجمال وأين يتحدد في النص القرآني ؟ وكيف تجلى ذلك في السور والآيات ؟.

المحور الثاني : جمالية المفردة في سياقها النصي. .

ينطلق العديد من الباحثين في تحديد معنى الجمال من حيث تناسق الأجزاء وترتيبها في وحدة معينة، وهذا يندمج كليًا مع مفهوم النظرية السياقية الحديثة ونظرية النظم عند الجرجاني . مع ذلك يصعب جدًا تحديد معنى دلالي واحد نحصر فيه معنى الجمال ، فالجمال عند العرب شهادات عدة كلها تعترف بصعوبة حصر هذا المفهوم. ويرجع الباحثون ذلك لأسباب مختلفة . فيرى البعض "أن السبب الرئيس الذي ترجع إليه صعوبة تعريف هو أن الجمال معنى

من المعاني ،فهو لا يقوم بنفسه ، وإنما يقوم بغيره ، حيث تستطيع رؤيته في الإنسان وفي الأشياء ، وفي الأفعال والتصرفات ..." ١١

ويرى الزمخشري أن الجمال يكمن في الوصف الجميل في التعامل "ف أن فلان يعامل الناس بالجميل ،وجامل صاحبه مجاملة وعليك بالمداراة والمجاملة مع الناس ، وتقول إن لم يجملك ما لك لم يجد عليك جمالك والجميل في الطلب إذا لم يحرص، وإذا أصبت بنائبة فتجمل أي تصبر."١٢ ومن خلال هذا الطرح يتضح أن الجمال معني في الهيئة الشكلية في وصف شيء ما . لكن هل يتفق هذا المعنى أيضا في الخطابات الأدبية والقرآنية .؟

يتجلى الجمال في النص القرآني عن طريق نظمه وتناسب الفاظه مع معانيه وتناسق كل ذلك مع السياق النصي والخطابي الذي وضع فيه ."فالجمالية التي نقصد بها في دراسة الخطابات القرآنية ، هي كل ما يدل على خصوصية في طريقة الأداء في الخطابات النصية الإبداعية ،وهي خصوصية تترك شعورا يلقي بظلاله على الصياغة الفنية ، بحيث يكون قادرا على إثارة انفعالا للمتلقين وعواطفهم ، فيحقق لديهم متعة ولذة استجابة ."١٣ يبين من هذا أن لخصوصية الأسلوب في الخطاب القدرة الجمالية على استمالة الاخر والتأثير فيه ، لذلك لو رجعنا إلى نصوص الجاحظ وفي حديثه عن الالفاظ والمعاني وشرط أن تكون مأنوسة لا غرابة فيها ومفهومة ومتطابقة لما يعرف بمفهوم السياق .

بذلك يمكن القول أن هناك تشابهًا كبيرًا في المنطلقات الدلالية لما هيه الجال داخل الخطابات والنظرية السياقية .فالأمر لا يتعلق فقط بطبيعة التوافق بين الأدوات النصية ولكن في طبيعة السرد الزمني ومناسبة الحدث والدلالة النفسية .

المبحث الثاني :

المحور الأول : جمالية المفردة في النص القرآني

لا يخفى على القارئ أن الدلالة المعجمية دور خاص في برمجة سياق النص ، لاسيما في النص القرآني الذي يتخذ فيه التأويل جانبا مهما ، علمًا أن هذا الامر لا يخرج عن التأويل الخاص ؛ لأن هذا النص يتمتع بالخصوصية الدينية في التحليل الادبي .لذلك يتطلب من الباحث الدقة في التحليل والتفسير . لأن ما من حرف أو حركة في الآية أو السورة إلا وتأتي

لغرض معين ومختلف وبصورة متباينة مع غيرها .

ونسعى في هذا المحور لبيان أن النص القرآني في تأثيره على القارئ والمستمع "لا يعتمد على التفكير وحده ليقنع الآخر ، ولكنه يتكأ عليه وعلى الوجدان معًا ، فهو في وعده ووعيده ، واوامره ونواهيه ، وقصصه ، وبراهينه وأحكامه ، لا يغفل نواحي النفس الإنسانية ، لأن العمل غالبًا يرتبط بها فالقرآن يهاجم ببلاغته جميع القوى البشرية ، ليصل إلى هدفه من تهذيب النفس وحب العمل ."١٤

ذكر في القرآن الكريم عدة ألفاظ في مواقع أحيانًا تأتي متكررة وأحيانًا تأتي مختلفة بزيادة أو نقصان تبعًا لسياق النص والمقام ، وقد تظهر الكلمة في موضع مختلفة ظاهرة وبشكل صريح وفي مواضع بألفاظ آخري .وربما ناتج هذا الامر للتناسب الصوتي والفني للسورة ."فالقرآن الكريم متأنق في أسلوبه في اختيار الفاظه ، ولما بين الالفاظ من حروف دقيقة في دلالتها ، يستعمل كلا حيث يؤدي معناه في دقة فائقة ،تكاد بها نؤمن بأن هذ المكان كأنها خلقت له تلك الكلمة بعينها ، ، وأن كلمة أخرى لا تستطيع توفيه المعنى الذي وضعت به أختها ، فكل لفظة وضعت لتؤدي حقها من المعنى أقوى ."١٥

لفت انتباهي مواضع عدة استعمال الفاظ في مواضع عدة استعملت في معاني متشابهة بألفاظ مختلفة ، ولابد في هذا امرًا يسترعي الانتباه من لدن القراء لبيان الاعجاز القرآني ، ومن جوانب عد فحقيقة القرآن الكريم ما زالت مدعاة للاهتمام ،فكل قراءة جديدة استكشاف جديد لم يكن واضحًا من قبل وهذا سر من اسرار بلاغة الكتاب واعجازه .

فكيف ظهرت هذه الالفاظ داخل السياق .؟ وكيف أدت دورًا مهمًا في إتمام المعنى ؟ علمًا أن الامر لا يتعلق فقط في الالفاظ والمعاني وإنما يتعلق الامر ب الحروف والأدوات التي كثيرًا ما تخرج عن السياق المتعارف ،أي القاعدة النحوية ، متمثلًا هذا الامر لتجليات عدة منها مراعاة السياق بزمانه ومكانه والجانب النفسي . هذا الجانب مهم جدا وقد راعا القرآن ذلك في العديد من خطاباته.

استعملت لفظة الهلاك في مواضع عدة للعقاب والتحذير ، وقد ذكرت في الآيات(يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت ..١٧٦) النساء وفي سورة الانفال (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن

ليقضي الله أمرًا كان مفعولا ليهلك عن بينة ويحي من حي عن بينة وان الله لسميع عليم ٤٢)

وفي سورة غافر (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب .٣٤)

وفي سورة الحاقة (هلك عني سلطانية ٢٩) وفي سورة هود (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ١١٧)

وفي سور أخرى يذكر الله تعالى في كتابه معنى الهلاك في الفاظ أخرى .ففي سورة الفرقان يذكر الهلاك بلفظة تبرنا تتبيرا (وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ٣٩) فما المغزى من ذلك . ربما يعود الامر لأن معنى التتبير هو الهلاك مع التفتيت والتكسير وهو جزاء الاقوام المكذبة ، والاهلاك هنا جاء بمعنى المصدر وهو أقوى من ناحية الصياغة اللفظية . وربما .لأن المعنى يتعلق بالهلاك التام "وكلا تبرنا تتبيرا أي أهلكنا بالعذاب . وتبرت الشيء كسرته . وقيل : دمرناهم تدميرا . تبدل التاء والباء من الدال والميم ."١٦ فقوة التدمير والتتبير جاء مناسبًا مع صياغة السورة ، لاسيما وأن عملية الوعظ والإرشاد لهذه الاقوام جاءت بمرات عدة ، لذلك جاءت الصياغة مناسبة لهذا التكرار، فضلًا عن ذلك جاءت قوة اللفظة مع قوة افتتاح السورة بلفظة تباك وقد تكررت مرتين ومعلوم ما لهذه اللفظة من قوة بيانية وعظمة فنية في بيان قوة الله في تسيير الأمور واهلاك من عصا ، كذلك يتعلق الامر بالصياغة الصوتية ،إذ انتهت الآيات جميعها بحرف الالف وهو من الاحرف الجهورة أي الاحرف القوية في اطلاق المعنى ، فهنا تكمن أهمية الدراسة الصوتية لأنها "تسهم في تحليل صوت معين أو مجموعة أصوات تعد من الناحية الصوتية غامضة ، بمعنى أنها تسهم في معالجة قضايا لغوية كثيرة وتفسيرها اقرب إلى طبيعة اللغة ."١٧.إذ الفاصلة القرآنية على صوت الراء للإطلاق ، واستعمال المفعول المطلق يسهم في تأكيد معنى الهلاك .

فعدم التسكين في السورة يدلي باستمرارية الحدث وهو العذاب ، وفضلًا عن التناسب الصوتي نجد ملائمة الثقل اللفظي في استعمال دعوا هنالك ، لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا في السورة ذاتها فقد وظف لفظة (ثبورا) في الآية وهي أيضا بمعنى الهلاك والفساد وهو ربما يلائم فساد الأمم والاقوام السابقة في التكذيب والانكار والتحريف ، إذ أن صفة الفساد كانت ملازمة للأقوام المشركة بالله .ولا يتعلق استعمال الالفاظ قوية فقط في الخطاب

وإنما في الوصف ايضًا ، ففي وصف اعمال المشركين بالهباء المنثور أي اشبه أعمالهم بالأرض القاحلة . وهذا الامر يذكر يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على أعمالهم ، لا سيما فيما يتعلق بأعمال المشركين – التي ظنوا أنها منجاة لهم – وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي ،فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين ، وقد تجمعهما معًا ، فتكون ابعد من القبول حينئذ .وتذكر كتب التفسير أن معنى هباء منثورا شعاع الشمس إذا دخل في الكوة ، وروي ايضًا هو الماء المهراق .، وقيل أن الهباء هو الرماد وحاصل هذه الاقوال التنبيه على مضمون الآية ، وذلك انهم عملوا اعمالا اعتقدوا انها شيء ، فلما عرضت على الملك الحكيم الذي لا يجور ولا يظلم أحدا ، إذا هي ذلك بالشيء التافه الحقير المتفرق ، الذي لا يقدر منه صاحبه على شيء بالكلية ، وفي هذا الوصف تتطابق ايضًا استعمال تتبيرا الهلاك والتفتت مع معاني منثورا .وكما ذكر الله تعالى في موضع اخر :(مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد) سورة إبراهيم ١٨ ."١٨ يتضح من ذلك سبب استعمال تتبيرا ،

فالقرآن الكريم متناسب في جميع جوانبه

وربما يتعلق الامر بأن الهلاك في الآيات السابقة جاء بمعنى الموت ، الذي يختص فقط في الحياة الدنيا ، لذلك (كل شيء هالك الا وجهه)سورة القصص ٨٨ ولكي يتبين عاقبتهم بقوة اللفظ مع المعنى تذكر كل الآيات بالترتيب ذاته وهذا من ابرع صور الاعجاز النظمي ، ففي الآية (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا ونفيرا)١٢ وحرف الظاء من الحروف الغليظة القوية ، وهذا الأسلوب الإبداعي ليس في الالفاظ . بل في المعنى ايضًا فتفسير هذه الآية " إذ رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا أي من مسيرة خمسمائة عام . سمعوا لها ... : المعنى إذا رأتهم جهنم سمعوا لها صوت التغيظ عليهم . وقيل : المعنى إذا رأتهم خزانها سمعوا لهم ... حرصا على عذابهم . والأول اصح : لما روى مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كذب علي متعمدًا "١١٩ . فمعنى التغيظ بذلك أصواتا مزعجة من الغليان والنفخ ،بذلك يوصف هنا حال اهل جهنم ووصف وضع المشركين فيها (مكانا ضيقا)"٢٠

وذكرت تتبيرا ايضًا بمعنى الهلاك في سورة الاسراء لوصف لبني إسرائيل .(إن احسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا) ٧ ولأن الامر يتعلق بالتدمير وليس الهلاك فقط والتدمير القوي الذي يأتي تباعا لأعمال متكررة جيء بلفظة تتبير ، كذلك الامر يتعلق

بالمعنى العقابي في الاخرة ، وليس عقاب الدنيا فقط ، فلأن الأمر متعلق بأهوال يوم القيامة وظف هذه اللفظة . لذا قيل " أعلم أن المعنى الواحد قد يعبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض ، وكذلك كل واحد من جزأي الجملة قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الاخر ."٢١ فبلاغة الكلمة تتحقق في مناسبتها للسياق الذي وضعت فيه ، وهذا الامر لا يأتي الا لقصدية مهمة أراد الخطاب القرآني التعبير عنها . وهذا ما أكده فاضل السامرائي في أن كل مفردة فنيًا واسلوبيًا في مكانها المناسب لقصدية محددة ، وإن الحذف من المفردة مقصود ، كما في الذكر مقصود ، والابدال مقصود ، كما أن الأصل مقصود ، وكل تغيير في المفردة مهما كان شكله فهو مقصود .٢٢

والامر ايضًا يتعلق بلفظة (ضنكا) ومعناها الضيق وقد وردة مرة واحدة في سورة طه (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ١١٥ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ١١٦فقلنا أ فيها ولا تضحى ١١٩ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ١٢٠ ..... قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدوا فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ١٢٣ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ١٢٤ فأن قوله ضنكا ليس مراعة فقط للفاصلة القرآنية وإنما كون ضنكا تستعمل خاصة في الأماكن .٢٣ولأنه اختص بالمعيشة لذا قيل فأن له معيشة ضنكا أي عيشة ضيقة . وكذلك جاءت في معنى الشقاء أي له معيشة شقيا .

أما في سورة النساء فذكر ضيق الصدور بلفظة حصرت (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ٩٠) حصرت صدورهم فالمعنى حصرت صدورهم ضاقت عن قتالكم ، والعرب تقول لكل من ضاقت نفسه عن شيء من فعل أو كلام قد حصر .٢٤ فمعنى الضيق جاء بألفاظ مختلفة نابعًا لسياق النص وربما يعود لذلك ارتبطت لفظت الحصر مع الصدور لما لها من جانب نفسي فهي بمعنى الضيق النفسي والجسمي الذي يشكل بعدًا اخرا في الذات. .

وتتباين السور والآيات في معنى السحاب والغيوم ،إذ وردت لفظة السحاب في القرآن ثلاث مرات .(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة ١٦٤ وفي سورة البرق (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال)١٢ وفي سورة النمل (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون ٨٨) وفي سورة اجعله لنور (ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلا له وينزل من السماء من جبال فيه من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب الابصار)٤٣ . ذكرت السحب في المعاجم العربية أنها بمعنى السحب أي يجره ، لذلك نرى أن كلمة السحاب حينما ذكرت في القرآن أتت دائمًا مع البرد والاتربة والرياح وهذا ما يساعد على تشكيل السحب المطرية ، أي أنها سميت بالسحب لخفة حركتها ، لذلك لو نرجع إلى الآيات نجد حتى في التشبيه يصورها بالخفة .(تمر مر السحاب) وهو ما أستعمل في وصف لفظة الجبال ا فضلًا عن ذلك ومن خلال الآيات يتضح أن السحب دائمًا تأتي محملة بالأمطار وهذا دليل قوله تعالى (أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ٥٧) الأعراف وفي آية أخرى (ألم ترى أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج ...٤٣) النور وغيرها من الشواهد وغير الدلالة المعنوية والصوتية في بيان الفرق في استعمال السحاب والغيوم ، هو أن القرآن الكريم لم يستعمل الغمام إلا في الظل ولم يذكرها

في مزول المطر وهذا يدل على أن معنى السحاب أوسع دلاليًا من معنى الغيوم .(وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن أنفسهم كانوا يظلمون .٥٧)البقرة وفي آية أخرى (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور ٣١٠) البقرة (كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى ....١٦٠)الأعراف (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ٢٥) الفرقان . إذ أشار بعض المفسرين ومنهم " محمد بن عمرو الباهلي قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن ابي نجيح ، عن مجاهد قول الله تعالى : وظللنا عليكم الغمام)قال : هو بمنزلة السحاب .." ٢٥ كذلك في آية هل ينظرون التي ذكرت سابقًا أن تفسير الغمام هنا هو الظل فقط وقد أشار المفسرون لذلك ."في قراءة أبي بن كعب (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الغمام " ، قال تأتي الملائكة في ظلل من الغمام ، ويأتي الله عز وجل فيما يشاء ، وهي في بعض القراءة هل ينظرون .....كقوله تشقق السماء بالغمام ...، وقرأ آخرون " هل ينظرون ... بالخفض عطفًا ب الملائكة على الظلل ، بمعنى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وفي الملائكة ." ٢٦ بذلك يتضح أن القرآن كان دقيقًا جدًا في استعماله للألفاظ ومناسبتها للجانب الدلالي والصوتي إنما الحال أيضا .

وغير ذلك من الالفاظ التي جاءت مناسبة تمامًا لسياق النص هي لفظة القبور والاجداث ، ويعول هذا الفرق في الاستعمال أن الاجداث استعملت في اليوم الاخر ألا ترى ذلك في الآيات التي ذكرت ،إذ أنها توضح ذلك .(خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جرد منتشر) سورة القمر ، (يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون) سورة المعارج و(ونفخ في الصور فإذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون) سورة يس ، فلقوة الحدث وعظمته وقوة حرف الجيم أتى بلفظة الاجداث ، كما أن التصوير الفكري يتطلب ذلك لاسيما وأنهم شبه خروجهم من القبور بالجراد المنتشر ، وهذه الصورة لا تحدث إلا في يوم القيامة وأهوال الساعة . ." وربما يعود إلى استعمال الاجداث في أن معنى الجدث هو مضغ اللحم يخرجون وقد مضغتهم الأرض ولم يبق منهم شيء ."٢٧ وهذا ما يوضح استعماله لفظة مسرعين ومهطعين وهو توصيف دقيق الحدث وهي دلالة الحركة وعدم السكون التي تمثلت في لفظة القبور، التي دائمًا ما وصفت في السكون وهو دليل واضح على أن الخطاب يتضمن واقع الدنيا

(يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قومًا غضب الله عليهم قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ١٣) سورة الممتحنة . وفي سورة (افلا يعلم ما بعثر م افي القبور)٩ العاديات .

كذلك لفظة بهت التي ذكرت مرة واحدة في خطاب إبراهيم عليه السلا م . فلماذا تحديدًا هذه اللفظة ، لاسيما وأنها ذكرت في هذا السياق . تتحدد جمالية النص ليس فقط بمناسبة الالفاظ مع بعضا فقط ، ولا المعاني مع الالفاظ ، وإنما تناسب اللفظ مع أسلوب الوصول إلى هدف النص في بيان مقاصده وتقريب الصورة للقارئ . (ألم تر إلذي حاج إبراهيم في ربه ان اتاه الله الملك اذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال انا احي واميت قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر) البقرة ٢٥٩ فتوظيف بهت جاء مناسبة لإكمال سياق النص الفني والجمالي وهذا واضع بالعودة لمعنى بهت في المعاجم وهو بيان وكشف كذبت الاخر ، كذلك يتعلق الامر بالبهتان وهو تغير اللون وهي كلمة تستعمل كثيرة في اللغات المستعملة خلال اليوم في وصف شخص ما أو شيء ما فالبهتان هو خلو الشيء من الألوان شيء باهت ." بهت وبهت وبهت الخصم : استولت عليه الحجة . وفي التنزيل العزيز : فبهت الذي كفر ، تأويله : انقطع وسكت متحيرا عنها . ابن جني : قرأه ابن السميفع (فبهت الذي كفر) ، أراد فبهت إبراهيم الكافر ، فالذي على هذا في موضع نصب . ، قال : وقرأه ابن حيوة فبهت ، بضم الهاء ، لغة في بهت . قال : وقد يجوز أن يكون بهت ، بالفتح ، لغة في بهت . قال : وحكى أبو الحسن الأخفش قراءة فبهت كخرق ودهش ; قال : وبهت ، بالضم ، أكثر من بهت ، بالكسر ، يعني أن الضمة تكون للمبالغة ، وبهت الرجل أبهته بهتا إذا قابلته بالكذب . وقوله – عز وجل – : أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا ، أي مباهتين آثمين . قال أبو إسحاق : البهتان الباطل الذي يتحير من بطلانه ، وهو من البهت التحير ، والألف والنون زائدتان ."٢٨ ف " الجملة القرآنية تتبع المعنى النفسي ، فتصوره بألفاظها ، لتلقيه في النفس ، حتى إذا استكملت الجملة أركانها ، برز المعنى ، ظاهرا فيه المهم والاهم ."٢٩ وغير ذلك فقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى في (وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما)١٥٦ مريم , (ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا .....)١٢ الممتحنة . بذلك تناسب لفظة البهتان التي تعني الكذب مع الدلالة النفسية التي أوحيت بها

دلالة النص ، فغالبًا ما يصحب الكاذب تلك الصدمة النفسية التي تعتريه أمام الحجة .

وغير ذلك وظف القرآن العديد من الا الاساليب التي أسهمت في تكون إعجازه ، فالملاحظ أنه لم يذكر مع الشمس في الآيات جميعها لفظة أشرقت مع أن صفة الشمس هي الاشراق وأكتفى ب طلعت (وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ...)١٧ سورة الكهف .وفي السورة ذاتها (حتى اذا بلغ مطلع الشمس ٩٠...)(فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس ١٣٠... سورة طه . وغير ذلك لكنه ذكر فعل الاشراق في مواطن أخرى ((واشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون .٦٩)الزمر (انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ١٨) وربما يكون الامر عائدًا أن معنى الاشراق يأتي بعد المغيب ومعلوم أن الشمس لا تغيب وإنما تستمر بدورانها بين المشرق والمغرب ، والطلوع يأتي مباشرة بعد الفجر وهذا على عكس الاشراق ، فتحديد الدلالة العامة للشمس وهو الطلوع أفضل من استعمال الشروق. لذلك ذكر في القرآن تعاقب الليل والنهار وهو دوران الأرض حول محورها ، أي أن الشمس لا تغيب كليًا وإنما جزئيًا .

ومن جماليات النص القرآني أيضًا هو الفرق بين الزوجة والصاحبة والمرآة , وعلى الرغم من التفصيل والتحليل الذي ذكر في هذا الموع في كون الزوجة تستعمل في وصف السياق الذي يتحدث عن الترابط الفكري والصاحبة عكس ذلك والمرآة التي يكون فيها التوافق الجسدي فقط ، وهذا يثبته النص القرآني على أننا لا نريد أن نكر ما قاله الأوائل من العلماء ، لكن الملاحظ في قول الزوجة (وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة) (يا ابها النبي قل لازواجك) أن في الآية الأولى عودة كاف المخاطب على آدم والله أعلم أن هنا لا يعني فقط بالتوافق الجسدي والفكري فقط ، وإنما موضوع الخلق فقد خلقت حواء من ضلع ادم ، فاستعمال زوجك في مواضع معينة أسلوبًا فنيًا غاية في الاعجاز .

ومن جماليات النص القرآني ، التي أظهرت اعجازه ، بل والعجز عن الاتيان به ، هو استنباط القواعد النصية والفكرية منهزا وهذا نلاحظه في استعمال الأدوات والاحرف ومن ضمنها إذا وكيف ، إذ أن اذا يتغير معناها بحسب السياق الذي وضعت فيه . فقد تأتي ظرفية

تتضمن معنى الشرط وظرفية لا تتضمن معنى الشرط و تأتي بمعنى حين وفجائية . (ان الانسان خلق هلوعا .. إذا مسه الشر جزوعا .. واذا مسه الخير منوعا) فهنا جاءت اذا ظرفية فقط وهذا ناتج لكون الخطاب جاء في وصف الانسان وهو شيء نادر في اذا .وقد يسبق اذا حرف الواو وتكون هنا الجملة متممة لما بعدها (واذا القبور بعثرت) ٤ الانفطار أو يأتي بعدا حرف ما وغالبًا ما تكون الجملة هنا للتأكيد لأن ما هنا زائدة (...فتذكر أحداهما الأخرى والايات الشهداء إذا ما دعوا ٢٨٢) البقرة ، كذلك الامر يتعلق بكيف ،التي تأتي أحيانًا للسؤال والاغلب في الاستعمال القرآني تأتي بطريقة مجازية للتحير (ألم ينظروا للابل كيف خلقت) وغير ذلك من الالفاظ التي تؤدي فيها الحركة تغيرًا كاملًا في المعنى . بذلك لا يكون تحديد السياق بمعناه الدلالي والثقافي من الخارج ، بل من الداخل أيضًا ، بل هو الأولى . فجمالية السياق لا تكون فقط بتناسب الالفاظ وحده أو المعاني وحدها أو في تناسق المستوى الصوتي فقط ، أو في الترادف ، بل باستعمالها جميعًا ، لذلك تأتي نظرية النظم بمعناها الدقيق في النظرية السياقية.

وقد استوقفتني لفظة فراق في سورة الكهف (قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ٧٨) ولطالما قرأنا المعنى بتأويل الفرق الفكري والدلالي للخضر وسيدنا موسى ، لكن الامر لا يتعلق ببيان الفروقات ما بين الشخصيتين وإنما يتعلق ببعد المسافة ، وربما لزيادة المعنى في الفرق في ترك الاجر لدى الاعمال التي عملها الخضر .وقد ذكر في البغوي ." هذا فراق بيني وبينك) يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل : هذا الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا . وقال الزجاج : معناه هذا فراق بيننا أي فراق اتصالنا وكرر تأكيدًا (سأنبئك) أي سوف أخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) وفي بعض التفاسير أن موسى أخذ بثوبه فقال: أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني فقال : (أما السفينة فكانت لمساكين ....)

النتائج :

١- لا يمكن للفقرة الواحدة أو المعنى الواحد من إعطاء جملة مفيدة

٢- أسهمت نظرية النظم أو ما يعرف حديثًا ب النظرية السياقية في

تحليل الخطاب النصي بطريقة منظمة تؤدي لفهم المعنى المقصود .

٣- جمالية الخطاب القرآني تضمنت في تناسقه واستعماله للالفاظ المناسبة داخل النص

٤- الاختلاف اللفظي ليس فقط لاختلاف اللهجات سابقًا ، وإنما هو صورة منة صور الاعجاز البياني في القرآن الكريم

المصادر :

١-القرآن الكريم .

٢-لزمخشري : أساس البلاغة ، تر : محمد باسل عيون ،ح ١ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط١ ١٩٩٨

٣-فتحي إبراهيم : معجم المصطلحات الأدبية :المؤسسة العربية للناشرين المتحديين ، تونس ١٩٨٩

٤-محمد بن مكرم ابن منظور : لسان العرب : دار صادر ، بيروت ، ط ٣

٥-عمر احمد مختار :علم الدلالة ، عالم الكتب بيروت ،١٩٩٨

٦-حمد حماسة عبد اللطيف :النحو والدلالة مدخل لدراسة معنى النحو الدلالي

،الشروق للنشر والتوزيع ،القاهرة ١٩٨٣ :٩٨

٧ – بشرى ووسن عبد الغني : في مفهوم النص والمعايير النصية القرآنية ، دراسة نظرية ، جامعة الموصل ٢٠٠٦ ٨–صالح أحمد الشامي :الظاهرة الجمالية في الإسلام ، المكتب الإسلامي ،بيروت ،ط١ ١٩٨٦:

٩–لطفي فكري : جمالية الخطاب في النص القرآني ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ٢٠١٤

١٠– فاضل السامرائي: بلاغة لكلمة في التعبير القرآني : شركة العاتك لصناعة الكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٦ .

١١– محمد جواد وآخرون: علم الأصوات ، جامعة طرابلس ، ليبيا.

١٢– أبو عبد الله القرطبي :الجامع لاحكام القرآن ، ت : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر : دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ١٩٦٤

١٣–عمار الدين ابن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٨

١٤–مجلة الراية : مقال بعنوان ما الفرق بين استخدام الاجداث والقبور في القرآن الكريم ١٢,٠٢. الجمعة ١٤ يناير

١٥–احمد احمد بدوي : بلاغة القرآن : ٨حمد محمد بدوي ، نهضة مصر للنشر والتوزيع ،ط ٢٠٠٥ :٨٥

١٦–الحسين بن مسعود البغوي : معالم التنزيل تفسير البغوي ، دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٩

الهوامش

١ ابن منظور : لسان العرب :مادة سوق ، ،ج ٧ : ٣٠٥

٢الزمخشري : أساس البلاغة ، تر : محمد باسل عيون ، ص ٤٨٤

٣ سورة الزمر اية ٧٣

٤ سورة السجدة ٢٧

٥إبراهيم : معجم المصطلحات الأدبية ::٢٠١

٦عمر احمد مختار :علم الدلالة ، عالم الكتب بيروت ،١٩٩٨، ٦٩

٧محمد حماسة عبد اللطيف :النحو والدلالة مدخل لدراسة معنى النحو الدلالي ،:٩٨

٨م ن :٩٨

--٩احمد مختار عمر: علم الدلالة ٦٩

١٠بشرى ووسن عبد الغني : في مفهوم النص والمعايير النصية القرآنية ، دراسة نظرية ، ١٩٠:

١١صالح أحمد الشامي :الظاهرة الجمالية في الإسلام ، :٢٣

١٢الزمخشري : أساس البلاغة مادة ج ،:١٣٤

١٣لطفي فكري : جمالية الخطاب في النص القرآني ،: ١٦

١٤لطفي فكري محمد :جمالية الخطاب في النص القرآني "٣٦

١٥فاضل السامرائي : بلاغة الكلمة في القرآن :٥١

١٦تفسير القرطبي : ٣٦٣

١٧محمد جواد وآخرون: علم الأصوات ، ،: ٢٤١

١٨تفسير ابن كثير : ٣٦٢

١٩تفسير القرطبي : ٣٦١

٢٠ ابن عاشور :التحرير والتنوير: ج ١٩ : ٣٣

٢١من بلاغة الكلمة في القرآن :٦٠

٢٣فاضل السامرائي: بلاغة لكلمة في التعبير القرآني :: ٤

٢٤تفسير الطبري :٣٢٠

٢٥تفسير الطبري : ٩٢

٢٦تفسير الطبري : ٨

٢٧مجلة الراية : مقال بعنوان ما الفرق بين استخدام الاجداث والقبور في القرآن الكريم ١٢,٠٢. الجمعة ١٤ يناير ٢٠٢٢

٢٨لسان العرب : لابن منظور ، ج ٢ : ١٦٣

٢٩ بلاغة القرآن : ٨حمد بدوي ،بلاغة القرآن :٨٥

تفسير البغوي : ج ٥ ، ١٩٣